المحاضرة الثالثة عشر: المدارس التاريخية الكبرى

تقديم :

يخضع البحث التاريخي من حيث التناول والتداول كتابة وتحليلا إلى نمطين بارزين، ويشرف عليه اتجاهين "مدرستين" في كتابة التاريخ وتحليله، وهما المدرسة التقليدية في تناول التاريخ والمد رسة الحديثة أو التجديدية، فما هي صفات ومجالات المدرستين التاريخيتين؟

1- المدرسة التقليدية: هي مدرسة ذات النمط تقليدي في تناول التاريخ رغم ما في التقليدي من إيجابيات.

ويمكن أن نضع لها حدودا ولكن ليست حدود زمانية أو مكانية وإنما وظيفية، أي كيفية تناول وتوظيف التاريخ باعتبار أن في كل زمان ومكان هناك تقليد وتجديد ليقع الصراع بينها فينتج عن ذلك قوانين جديدة. فحيثما غلبت الكتابة التقليدية أعطينا المرحلة تلك تسمية القديم.. وحيثما غلبت الكتابة التجديدية أعطينا المرحلة تلك تسمية الجديد والحديث

1-1 مواصفات المدرسة التقليدية

- الاهتمام بالحدث السياسي " العسكري والدبلوماسي"
- تهتم هذه المدرسة بالحدث منفردا معزولا... وفي إطار زماني قصير المدى، أي أنّ الحادثة التاريخية قصيرة العمر.
- اعتمادها التفسير البسيط لسلوكيات الفرد أو البطل والزعيم .
- بروز المسحة الأدبية والإنشائية عكس تحليل المحتوى "والتناول المباشر للخبر".

- حـــدود الوثيقـــة فـــي هـــذا الاتجـــاه محـــدودة جـــدا غيـــر واســـعة ممّـــا يـــدفع إلـــى الفقر في تحليل المواضيع.

ملاحظـــة: عمومـــا، فـــإنّ أقصـــى تحـــرر للمدرســـة التقليديـــة هـــو العنايـــة بالوثيقة من حيث:

"الخبر والمحتوى.....الزمان....المكان.... صحة الحادثة..."

2- **المدرســـة التجديديـــة واهتماماتهـــا: " المدرســـة الحديثـــة"** ويمثلهـــا اليوم المدرسة الألمانية والأمريكية والحوليات الفرنسية) أنموذجا

تمثـــل المدرســـة الحـــديث ذلـــك التحـــول الـــذي وقـــع فـــي التعـــاطي مـــع التـــاريخ والوثيقـــة بالانتقال بمفهوم الوثيقة ووظيفتها وجدودها وأنواعها.

- مـــن حيـــث الأنـــواع : هـــو توظيـــف كـــل صـــنوف وأجنـــاس الوثيقـــة وعـــدم الاقتصـــار علـــى مـــا كتبـــه الإخبـــاريون فقـــط بـــل تتوســـع الوثيقـــة إلـــى أجنـــاس أخـــرى ككتـــب النوازل والمناقب والأدب وغيرها...
- الخوض في كل أنواع المواضيع التي تحدد بالتواريخ الرقمية.
- التركيـــز فـــي الوثيقـــة علـــى ظـــروف وســـياقات الحـــدث، وهنـــا نجـــد اتجـــاهين فـــي التعامل مع الوثيقة وهما:

1-2 تعاملها مع الوثيقة

1 - الخـــوض فـــي الحـــدث أو المعلومـــة المباشـــرة التـــي تحويهـــا الوثيقـــة أو مـــا يعـــرف بـــ" الحدث المقصود في الوثيقة" كفعل رحل، ودرس، وعاش وتوفي...

2- المعلومة غير المقصودة من الوثيقة و "غير المباشرة": والتي يتعمق الباحث النّابه المجدّ في استلهامها من الوثيقة.

ففعل رحل في الوثيقة يستلهم منها وصف أدوات الرحلة وطبيعتها ووصف المسلك والمخاطر والألبسة والغذاء... وفعل درس يكون الحديث فيه عن عمق الدرس ومحتواه والمناهج. الوفاة من خلاله الأوبئة والأمراض وطقوس الوفاة والاغتيالات ..

ومن وراء ذلك كله البحث في الذهنيات والمتخيل وتصور الغيبي لدى الفرد والمجتمع، وأنواع الطقوس وأنماط المقدس لدى هؤلاء .

2-2 طبيعة البحث التاريخي الحديث

هو الاستفادة من العلوم والمعارف الأخرى والاندماج معها، وتكمن الاستفادة منها في ظاهرتين:

الأولى: الاستفادة من مناهج هذه العلوم، مثلما ستستفيد هي الأخرى مما توفره الوثيقة والنص التاريخي.

الثانية: الاستفادة من المفاهيم والمصطلحات التي تزخر بها هذه المعارف "في علم الاجتماع، الفلسفة، العلوم الشرعية، علم النفس، الإحصاء" .

ونتيجة هذا برزت لدينا تخصصات وموضوعات في الكتابة التاريخية يتماهى فيها التاريخ مع العلوم الأخرى.

2-3 قيمة الكتابة التاريخية وفق المدرسة الحديثة:

بفعل اعمال منهج هذه المدرسة وقع تحول عميق في الكتابة الحديثة عكس التقليدية الكلاسيكية من حيث:

- مفهوم النص فصار يتميز بالبحث في العمق وامتدادات النص
- حدود النص فتوسع زمانا إلى ما بعد الحادثة ومكانا حيث لا يقتصر على مكان الواقعة .
- تعدد الوثيقة في مصادر أخرى غير تاريخية (كالمناقب، والنوازل)
- التركيز على الجزئيات المضمرة".
- دراسة تفكير الفرد والجماعة وسلوكياتهم، وأنماط المعيشة وطرق التعامل، وردود أفعالهم، وطبقات المجتمع المغيبة والمسكوت عنه عموما.

4- رؤية مستقبلية في البحث التاريخي: هذه الرؤية يجب عن تقوم على فكرتن اساسيتين:

الأولى:

أن نتناول التاريخ لأجل البناء وليس الهدم والإفساد وهذا بالتركيز على مايبني ا لم جتمع والدولة وليس على ما يفرق.

الثانية :

لابد من اعتمادالمقاربات التي تصب ضمن الهدف الاسمى، حيث أن الناس اتفقت على وجود ثلاث مقاربات في البحث في العلوم الإسانية والاجتماعي وهي " البنيوية والصراعية والتفاعلية"وإذا كان الطرف المناوئ يركز في تناوله للتاريخ الوطني أو تار يخ الآخر على تفعيل المقاربة الصراعية وتكريس الثنائية المتضادة لتفسير التاريخ، فإنه من الواجب علينا لدراسة الواقع حقيقة أن نتناول ذلك من باب التفاعلية ال صادقة التي كونت حضارة ومجدا في العصر الوسيط فالعودة اليه بناء وليس هدم مثلما تناولها المستشرقون والكلونياليون.

أخيرا نرجوا التوسع في هذه المفاهيم والعناية بتطبيقها وفهم مراميها وإعمال آلياتها بالمراجعة والمطالعة وتطبيق مفاهيم ذلك.